٢م - ١٤ من صفر ١٤٤٣هـ - ١١ توت ١٧٣٨ق | السنة: ٣٥ | ثلاثة جنيهات | ٨ صفحات | تصدر عن

الوفد

alwafd

١٩٨٤ برئاسة تحرير مصطفى شردى

الحق فوق القوة
والأمة فوق الحكومة
«سعد زغلول»

سفور العنصرية!

أحد التحولات البارزة التي تحدث فى اسرائيل الآن هو انتقالها من العنصرية المقنعة الى عنصرية سافرة لا تختبئ وراء حجاب ولا تخجل من المجاهرة بعدائها للعرب وإصرارها على التميز بطريقة لا سابق لها منذ انهيار النازية الألمانية.

لقد نزعت إسرائيل حجابها وخلعت الرداء الذى حاولت أن تستر به عنصريتها على مدى ستة عقود. وها هى تجهر بعنصرية سافرة فى ظل إصرار غير مسبوق على إعادة تعريف نفسها باعتبارها دولة يهودية. كما كشف العدوان على قطاع غزة أن العنصرية الاسرائيلية صارت أعمق مما كان أكثر ناقديها يتصورونه. وكم كانت مبعوثة الأمم المتحدة الى غزة راديكا كومارا سوامى حزينة حين تحدثت عن «تى شيرتات» ارتداها جنود شاركوا فى العدوان تحمل رسوماً تحض على القتل وتسخر من موت الأطفال والنساء.

وأية عنصرية أبغض من أن تضع إسرائيل جندياً واحداً من جنودها فى كفة، ومليون ونصف المليون فلسطيني فى كفة مساوية، فتصر على حبسهم فى قطاع غزة الى أن يطلق سراحه من محبسه فى أحد جحور هذا القطاع.

ومع ذلك، تجد هذه العنصرية السافرة من يساندها بزعم أن ممارساتها الاجرامية ضد الشعب الفلسطينى، والتي بلغت ذروتها فى العدوان الأخير على قطاع غزة، انما هى «دفاع عن النفس». ويغفل مساندو هذه العنصرية أنهم يبررون غاية يقبلونها بوسيلة بشعة لا يصلح لأى انسان متحضر أن يوافق عليها.

كما أنهم يجادلون بأن اسرائيل تظل دولة ديمقراطية فى منطقة تمثل فى رأيهم «استثناء» على هذا الصعيد. وبمنأى عن أى خلاف مع هذا الرأى، فكم من دول ديمقراطية كانت عنصرية. ولم ترسخ هذه الدول ديمقراطيتها إلا عندما اتجهت الى التخلص من عنصريتها. ولذلك فما من دولة ديمقراطية تورطت فى ممارسات عنصرية إلا وشهد تاريخها خطا بيانيا مطرداً باتجاه التخلى عن العنصرية تدريجياً. وتبدو إسرائيل حالة معاكسة لأن عنصريتها لا تقل مع الوقت، وإنما تزداد.

ولعل أكثر ما يغفله مساندو العنصرية الاسرائيلية وخصوصا أولئك الذين يؤمنون حقا بالديمقراطية فى أوروبا والولايات المتحدة، هو أن «الدولة النقية» عرقيا أو دينيا لا يمكن أن تبقى ديمقراطية بأى حال حتى إذا كان نظامها السياسى يقوم على تعدد الأحزاب والتنظيمات والجماعات والانتخابات الدورية الحرة وتداول السلطة.

ولذلك لن يكون هناك أى فرق بين ألمانيا النازية واسرائيل الصهيونية التى تتجه الآن الى كشف عنصريتها ونزع الحجاب عنها.

د. وحيد عبدالمجيد